سورة الجن

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝﴾

فيه خمس مسائل :

الأولى : قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: قل يا محمد لأمتك: أوحى الله إلي على لسان جبريل ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ إليَّ ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وما كان عليه الصلاة والسلام عالما به قبل أن أوحى إليه، هكذا قال ابن عباس وغيره على ما يأتي. وقرأ ابن أبي عبلة «وَحِيَ»[1] على الأصل؛ يقال أوحى إليه ووحى، وقرئ: «أُحِيَ» فقلبت الواو همزة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١]، وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة، وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضا، كإشاح وإسادة «وإعاء أخيه» ونحوه.

الثانية : واختلف هل رآهم النبي ﷺ أم لا؟ فظاهر القرآن يدل على أنه لم يرهم؛ لقوله تعالى: ﴿اسْتَمَعَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ[2]، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم؛ فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل[3] بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب! قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر؛ فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾[4]، ورواه

---

(١) هذه قراءة غير متواترة، انظر: ابن عطية (١٦/ ١٣٠) في المحرر الوجيز.

(٢) عُكاظ : بضم أوله وهي سوق كانت للعرب في الجاهلية لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضًا بالفخار [أي يدعك] وكانوا يتفاخرون هناك، وكانت قبائل العرب جميعًا تحضر هذه السوق في كل سنة، معجم البلدان (٤/ ١٤٢).

(٣) حيل : مُنع اللسان « حيل».

(٤) صحيح : مسلم (٤٤٩) في الصلاة، والترمذي (٣٣٢٣) في التفسير.

الترمذي عن ابن عباس قـال: قول الجن لقومهم: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩)﴾ قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يصلون بصـلاته ،فيسجدون بسجوده قال: تعجبـوا من طواعية أصحابه له، قالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] ، قال: هذا حديث حسن صحـيح[١] ؛ ففي هـذا الحديث دليل على أنه عليـه الصلاة والسـلام لم يرَ الجن ولكنهم حـضروه، وسمعوا قراءته،وفيه دليل على أن الجن كانوا مع الشياطين حين تجسسوا الخبر بسبب الشياطين لما رُمُوا بالشهب، وكان المرميون بالشهب من الجن أيضا.

وقيل لهم: شيـاطين كما قال: ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] ،فإن الشيطان كل مـتمرد وخارج عن طاعة الله، وفي الترمـذي عن ابن عباس قال: كان الجن يصعدون إلى السمـاء يستمعون إلى الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا، فأما الكلمة فتكون حقا، وأما ما زادوا فيـها، فيـكون باطلا، فلما بُعث رسول الله ﷺ مُنعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا الأمر إلا من أمر قد حدث في الأرض! فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائما يصلي بين جـبلين - أُراه قال: بمكة - فأتوه فأخبروه فـقال: هذا الحديث الذي حدث في الأرض، قال: هذا حديـث حسن صحيح[٢] ، فدل هذا الحديث على أن الجن رُمـوا كما رُميت الشياطين، وفي رواية السدي: أنهم لما رموا أتوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم فقال: إيتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشـمها فأتوه فشم فقال: صاحبكم بمكة، فـبعث نفرا من الجن، قيل: كانوا سبـعة، وقيل: تسعـة منهم زوبعة[٣] ، وروى عاصم عن زر قال: قدم رهـط زوبعة وأصحابه على النبي ﷺ [٤] ،وقال الثـمالي: بلغني أنهم من بني الشيصـبان ،وهم أكثر الجنّ عـددًا وأقواهم شوكة ، وهم عامة جنود إبليس[٥] وروى أيضًا عاصم عن ذر : أنهم كانوا سبعة نفر؛ ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهـل نصيبين[٦] ، وحكى جويبر عن الضـحاك: أنهم كانوا تسعـة من أهل نصيبين قرية باليمن غـير التي بالعراق[٧] ، وقيل: إن الجن الذين أتوا مكة جن نصـيبين، والذين أتوه بنخلة جن نينوى، وقد مضى بيـان هذا في سورة الأحقاف، قال عكرمة: والسورة الـتي كان يقرؤها رسول الله ﷺ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] وقد مضى في سـورة « الأحقاف »[٨] التعـريف باسم النفر من الجن، فلا معنى لإعادة ذلك[٩] .

وقيل: إن النبي ﷺ رأى الجنَّ ليلة الجنّ وهو أثبت؛ روى عامر الشعبي قال: سألت علقمة هل

---

(١) **صحيح** : مسلم (٤٤٩) فى الصلاة ،والترمذى (٣٣٢٣) فى التفسير .

قلت : وهو عند البخارى (٤٩٢١) في التفسير ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما .

(٢) **صحيح** : الترمذي (٣٣٢٤) في التفسير ، وصححه الألباني هناك ـ ط ـ الرياض .

(٣) **حسن إليه وهو مرسل** : وانظر: التالى .

(٤) **ضعيف وهو مرسل** : وعاصم هذا هو ابن بهدلة (ابن أبي النجود) وهو إمام في القراءات وله أوهام إذا حدث . ورواه الطبري (٢٩/ ١٠٨، ١٠٩) في تفسيره .

(٥ـ ٧) انظر السابق .

(٨، ٩) عند الآية (٢٩) .

كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل [١]، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاءٍ من قبل حراء، فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم؛ فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن»، فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد ،وكانوا من جن الجزيرة، فقال: «لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكر اسمُ الله عليه، يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما، وكل بعرة علف لدوابكم» فقال رسول الله ﷺ: « فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم الجن» [٢]. قال ابن العربي: وابن مسعود أعرف من ابن عباس؛ لأنه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة [٣]،وقد قيل: إن الجن أتوا رسول الله ﷺ دفعتين: إحداهما بمكة ،وهي التي ذكرها ابن مسعود [٤]، والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس[٥]. قال البيهقي: الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي ﷺ وعلمت بحاله،وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبد الله بن مسعود قال البيهقي: والأحاديث الصحاح تدل على أن ابن مسعود لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن، وإنما كان معه حين انطلق به وبغيره يريه آثار الجن وآثار نيرانهم، قال: وقد روي من غير وجه أنه كان معه ليلتئذ، وقد مضى هذا المعنى في سورة « الأحقاف» والحمد لله [٦]،وروي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «أُمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي؟» فسكتوا، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، ثم قال عبد الله بن مسعود: أنا أذهب معك يا رسول الله، فانطلق حتى جاء الحجون [٧] عند شِعْب أبي دُبّ [٨] فخط عليَّ خطًا، فقال: «لا تجاوزه» ثم مضى إلى الحجون فانحدر عليه أمثال الحجَل [٩] يحدرون [١٠] الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها،حتى غشوه فلا أراه، فقمت فأومى[١١] إليّ بيده أن اجلس، فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع، ولصقوا بالأرض حتى ما أراهم، فلما انفتل إليّ قال: «أردت أن تأتيني»؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: «ما كان ذلك لك، هؤلاء

---

(١) استطير :ـ ذُعر اللسان « طير».

(٢) صحيح : مسلم ، (٤٥٠) فى الصلاة ، والترمذي (٣٢٥٨) في التفسير.

(٣) فى هذا خبر مرفوع صحّ عن ابن عباس رضي الله عنهما انظره في: صحيح الجامع (٥٣٧٤) للألباني ـ رحمه الله.

(٤) صحيح : وقد سبق قريباً.

(٥ ، ٦) انظر: عند البيهقى (٢/ ١٠٢) في الدلائل .

(٧) الحجون : جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها . معجم البلدان (٢/ ٢٦٠) .

(٨) شِعْب أبي دب : شعب أي: طريق في الجبل ، سمى باسم رجل من بني سُواءة بن عامر بن صعصعة ـ معجم البلدان (٣/ ٣٩٣) .

(٩) الحجل : صغار الإبل وأولادها اللسان« حجل» . .

(١٠) يحدرون الحجارة : يحطونها من علو إلى سفل اللسان« حدر ».

(١١) أومى : أشار اللسان « وما» .

الجن أتوا يستـمعون القرآن، ثم ولوا إلـى قومهم منذرين فسـألوني الزاد فزودتهم العظم والبعـر، فلا يستطيبن أحدكم بعظم ولا بعر» (١).

قال عكـرمة : وكانـوا اثني عشـر ألفا من جـزيرة الموصل،وفي رواية: انطلق بي عليه الـصلاة والسلام حتى إذا جـئنا المسجد الذي عند حائط عـوف، خط لي خطا، فأتاه نفر منهم فقـال أصحابنا كأنهم رجال الزُّط (٢) وكأن وجوههم المكاكي(٣)، فقالوا: ما أنت؟ قال: « أنا نبي الله » قالوا: فمن يشهد لك على ذلك؟ قال: «هذه الشجرة تعالي يا شجرة » فـجاءت تجر عروقها، لها قعاقع (٤) حتى انتصبت بين يديه، فقال: «على ماذا تشهدين» قالت: أشهد أنك رسول الله، فرجعت كما جاءت تجر بعروقها الحجارة، لها قعاقع حتى عادت كما كانت.

ثم روى أنه عليه الصـلاة والسلام لما فرغ وضع رأسـه على حجر ابن مـسعود، فـرقد ثم استـيقظ فقال: «هل من وضوء» قال: لا، إلا أن معي إداوة فيها نبيذ، فقال: «هل هو إلا تمر وماء» فتوضأ منه (٥).

الثالثة : قد مضى الكلام في الماء في سورة «الحجر» (٦) وما يستنجى به في سورة «براءة» (٧) فلا معنى للإعادة.

الرابعة : واختلف أهل العلم، في أصل الجن؛ فـروى إسماعيل عن الحـسن البصري: أن الجن ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب، فـمن كـان من هؤلاء وهؤلاء مـؤمنـا فهـو ولـي الله، ومن كـان من هؤلاء وهؤلاء كـافـرا، فـهـو شيطان(٨)، وروى الضحاك عن ابن عـباس: أن الجن هم ولد الجان ،وليسـوا بشياطين، وهم يموتون؛ ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، والشياطين هم ولـد إبليس، لا يموتون إلا مع إبليس ،واختلفوا في دخول مؤمني الجن الجنة، على حـسب الاختلاف في أصلهم، فـمن زعم أنهم من الجان لا من ذرية إبليس قال: يـدخلون الجنة بإيمانهم، ومن قال: إنـهم من ذرية إبليس فلهم فيـه قولان: أحـدهما: وهـو قول الحسن يدخلونها، الثاني: وهو روايـة مجـاهـد لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار، حكاه الماوردي(٩)، وقد مـضى في سورة «الرحمن» عند قـوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] بيان

---

(١) في إسناده ضعف : وفيه أبو صالح وهو ضعيف ،انظر: روح المعاني (٩/ ١٨٦)للآلوسي .

(٢) الزط : جبل أسود ينتمي إلى السند ـ اللسان« زلط ».

(٣) المكاكي : في اللسان : جمع مكوك وهو طاس يشرب به ، أعلاه ضيق ووسطه واسع، اللسان « مكك».

(٤) قعاقع : جـمع قعقعـة ، وهي حكاية صوت السلاح والتـرسة ، والجلود اليابسة والحـجارة ، والرعد وغيرهـا ـ كما في اللسان.

(٥) صحيح : الهيـثمي (٨/ ٢٩٢) بنحوه عن ابن عمر ، وقال : رواه الطبراني ، ورجـاله رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى والبزار .

(٦) عند الآية (٢٢)

(٧) عند الآية (١٠٨) . .

(٨) كذا في تفـسير ابن كثـير (٣/ ٥٢٩) ط ـ دار الفكر ، وعزاه لابن أبي حـاتم وفيه ضعف ، فـقد رواه من طريق سلمة بن الفضل وهو ضعيف .

(٩) صحيح : وقد سبق.

أنهم يدخلونها.

الخامسة: قال البيهقي في روايته: وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال: «لكم كل عظم»[١] دليل على أنهم يأكلون ويطعمون، وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن، وقالوا: إنهم بسائط، ولا يصح طعامهم؛ اجتراء على الله وافتراء عليه، والقرآن والسنة ترد عليهم، وليس في المخلوقات بسيط [بل الكل] مركب مزدوج، إنما الواحد الواحد سبحانه، وغيره مركب وليس بواحد كيفما تصرف حاله، وليس يمتنع أن يراهم النبي ﷺ في صورهم كما يرى الملائكة، وأكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات[٢]؛ ففي الموطأ: أن رجلا حديث عهد بعرس، استأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار أن يرجع إلى أهله، الحديث، وفيه: فإذا حية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها[٣]، وذكر الحديث، وفي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيتم منها شيئا، فحرجوا عليها ثلاثا، فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر»[٤]، وقال: «اذهبوا فادفنوا صاحبكم»[٥]، وقد مضى هذا المعنى في سورة «البقرة» وبيان التحريج عليهن[٦]، وقد ذهب قوم إلى أن ذلك مخصوص بالمدينة؛ لقوله في الصحيح: «إن بالمدينة جنا قد أسلموا»[٧]، وهذا لفظ مختص بها فيختص بحكمها، قلنا: هذا يدل على أن غيرها من البيوت مثلها؛ لأنه لم يعلل بحرمة المدينة، فيكون ذلك الحكم مخصوصا بها، وإنما علل بالإسلام، وذلك عام في غيرها، ألا ترى قوله في الحديث مخبرا عن الجن الذين لقي: وكانوا من جن الجزيرة؛ وهذا بين يعضده قوله: ونهى عن عوامر البيوت وهذا عام، وقد مضى في سورة «البقرة» القول في هذا فلا معنى للإعادة.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ أي: في فصاحة كلامه، وقيل: عجبا في بلاغة مواعظه، وقيل: عجبا في عظم بركته، وقيل: قرآنا عزيزا لا يوجد مثله، وقيل: يعنون عظيما، ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أي: إلى مراشد الأمور، وقيل: إلى معرفة الله تعالى؛ و﴿يَهْدِي﴾ في موضع الصفة أي: هاديا، ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ أي: فاهتدينا به وصدقنا أنه من عند الله، ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ أي: لا نرجع إلى إبليس ولا نطيعه؛ لأنه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر، لما رمي الجن بالشهب، وقيل لا نتخذ مع الله

---

(١) انظر: الحديث ما قبل سبعة هوامش.

(٢) وعند ابن أبي شيبة بإسناد صحيح، عن عمر ـ رضي الله عنه: (أن الغيلان ذُكروا عند عمر)، فقال: إن أحدًا لا يستطيع أن يتحول عن صورته التي خلقه الله عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم ذلك فأذِّنوا، رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٩٤) في المصنف.

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ كما روى عنه البيهقي في مناقبه: (من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته إلا أن يكون نبيا)، وهذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم الحقيقية. فتح الباري (٦/ ٣٤٤).

(٣) صحيح: قطعة من حديث مسلم ٢٢٣٦/ ١٣٩، ١٤٠، ١٤١) في السلام عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه.

(٤) صحيح: مسلم (٢٢٣٦/ ١٤٠) في السلام.

(٥) صحيح: انظر: السابق.

(٦) عند الآية (٣٦).

(٧) صحيح: مسلم (٢٢٣٦/ ١٣٩) في السلام.

إلها آخـر؛ لأنه المتفرد بالربوبية، وفي هذا تـعجيب المؤمنين بذهاب مشـركي قريش عما أدركـته الجن بتدبرها القرآن، وقوله تعالى: ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ أي: استمعوا إلى النبي ﷺ فعلموا أن ما يقرؤه كلام الله، ولم يذكـر المستمـع إليه لدلالة الحال عليـه، والنفر الرهط؛ قال الخلـيل: ما بين ثلاثة إلى عشرة، وقرأ عيسى الثقفي: « يَهدي إلى الرَّشَد » بفتح الراء والشين.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ كان علقـمة ويحيى والأعمـش وحمزة والكسائي وابن عـامر وخلف وحفص والسلمي ينصبون: « أنَّ » في جميع السـورة في اثني عشر موضعا، وهو: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ عطفا على قوله: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾، ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ لا يجوز فيه إلا الفتح؛ لأنها في موضع اسم فاعل ﴿أُوحِيَ﴾ فما بعده معطوف عليه، وقيل: هو محمول على الهاء في ﴿آمَنَّا بِهِ﴾، أي: و﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ وجاز ذلك وهو مضمر مجرور لكثرة حذف الجار مع ﴿أَنَّ﴾، وقيل: المعنى أي: وصدقنا أنه جد ربنا، وقرأ الباقون كلها بالكسر [١] وهو الصواب، واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم عطفا على قوله ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا﴾ لأنه كله من كلام الجن، وأما أبو جعـفر وشيبة فإنهمـا فتحا ثلاثة مواضع؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾. قالا: لأنه من الوحي، وكسرا ما بقي؛ لأنه من كلام الجن، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الجن: ١٩]، فكلهم فتحوا إلا نافعا وشيبة وزر بن حبيش وأبا بكر والمفضل عن عاصم، فإنهم كسروا لا غير، ولا خلاف في فـتح همزة ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾، ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾، ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا﴾، وكذلك لا خلاف في كسر ما بعد القول؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا﴾ و﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ [الجن: ١٩] و﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾ [الجن: ٢٤]، و﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ﴾ [الجن: ٢١]، وكذلك لا خـلاف في كسر ما كان بعد فـاء الجزاء؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الجن: ٢٣] و﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ [الجن: ٢٧]؛ لأنه موضع ابتداء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجَدُّ في اللغة: العظمة والجلال؛ ومنه قول أنس: كان الرجل إذا حفظ «البقرة» و« آل عمران» جدَّ في عيوننا [٢]؛ أي: عظم وجل، فمعنى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: عظمته وجلاله؛ قـاله عكرمة ومـجاهد وقـتادة [٣]، وعن مجاهـد أيضا: ذكره [٤]، وقال أنس بـن مالك والحسن وعكرمة أيضا: غناه [٥]، ومنه قيل للحظ جد، ورجل مجدود أي: محظوظ؛ وفي الحديث:

---

(١) قراءة متواترة ، وانظر: تقريب النشر (ص١٨٤) .

(٢) صحيح : قطعة من حديث رواه مسلم (٢٧٨١/ ١٤) في صفات المنافقين ، وفيه قصة النصرانى المرتد الذي لفظته الأرض .

وهو عند البخاري (٣٦١٧) في المناقب عنه أيضًا.

(٣) صحيح إليهم : الطبري (٢٩/ ١١٠) فى تفسيره .

(٤) صحيح إلى مجاهد : السابق (٢٩/ ١١١).

(٥) حسن إليهم : السابق (٢٩/ ١١٠).

«ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجَدُّ» (١) قال أبو عبيدة والخليل: أي: ذا الغنى، منك الغنى، إنما تنفعه الطاعة، وقال ابن عباس: قدرته (٢). الضحاك: فعله (٣)، وقال القرظي والضحاك أيضا: آلاؤه ونعمه على خلقه(٤)، وقال أبو عبيدة والأخفش: ملكه وسلطانه (٥)، وقال السدي: لمره (٦)، وقال سعيد بن جبير: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: تعالى ربنا، وقيل: إنهم عنوا بذلك الجد الذي هو أب الأب، ويكون هذا من قول الجن، وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع: ليس لله تعالى جد، وإنما قالته الجن للجهالة، فلم يؤاخذوا به (٧)، وقال القشيري: ويجوز إطلاق لفظ الجد في حق الله تعالى؛ إذ لو لم يجز لما ذكر في القرآن، غير أنه لفظ موهم، فتجنبه أولى، وقراءة عكرمة: «جِدٌّ» بكسر الجيم على ضد الهزل، وكذلك قرأ أبو حيوة ومحمد بن السميقع، ويروى عن ابن السميقع أيضا وأبي الأشهب: « جَدَا رَبُّنا » (٨)، وهو الجدوى والمنفعة، وقرأ عكرمة أيضا: «جدٌّ» بالتنوين (٩) « ربُّنا » بالرفع على أنه مرفوع، بـ ﴿ تَعَالَىٰ ﴾، و «جدًا» منصوب على التمييز، وعن عكرمة أيضا «جدٌ» بالتنوين (١٠) رفع « ربُّنا » بالرفع على تقدير: تعالى جدٌّ جدُّ ربنا؛ فجد الثاني بدل من الأول وحذف وأقيم المضاف إليه مقامه، ومعنى الآية: وأنه تعالى جلال ربنا أن يتخذ صاحبة وولدا للاستئناس بهما والحاجة إليهما، والرب يتعالى عن الأنداد والنظراء.

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ الهاء في ﴿أَنَّهُ﴾ للأمر أو الحديث، وفي ﴿كَانَ﴾ اسمها، وما بعدها الخبر، ويجوز أن تكون ﴿كَانَ﴾ زائدة، والسفيه هنا إبليس في قول مجاهد وابن جريج وقتادة (١١)، ورواه أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ (١٢)، وقيل: المشركون من

---

(١) متفق عليه: جزء من حديث رواه البخاري (٨٤٤) في الأذان، ومسلم (٥٩٣/ ١٣٧، ١٣٨) في المساجد عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه.

(٢) منقطع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس ـ رضي الله عنهما: الطبري (٢٩/ ١٠٩) في تفسيره، ورواه من طريق العوفيين أيضًا فهو ضعيف.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٨٧).

(٤) الطبري (٢٩/ ١٠٩).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٢) لأبي عبيدة.

(٦) حسن إليه: الطبري (٢٩/ ١٠٩) في تفسيره

(٧) هذا كلام ذكره ابن كثير نقلاً عن تفسير ابن أبي حاتم بسند جيد إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ثم قال: فهذا إسناد جيد ولكنى لست أفهم ما معنى هذا الكلام، ولعله قد سقط شيء والله أعلم. ا. هـ، وقول أبي العالية عند الطبري (٢٩/ ١١٠) في تفسيره.

(٨ ـ ١٠) هي قراءات متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٨٤).

(١١) صحيح إليهم: وفى سند مجاهد رجل مجهول. الطبري (٢٩/ ١١٣) في تفسيره.

(١٢) لم أجده فيما بين يدى من مصادر.

الجن [١]، قال قتادة: عصاه سفيه الجن كما عصاه سفيه الإنس، والشطط والاشتطاط: الغلو في الكفر [٢]، وقال أبو مالك: هو الجور [٣]. الكلبي: هو الكذب [٤]، وأصله العبد فيعبر به عن الجور لبعده عن العدل، وعن الكذب لبعده عن الصدق؛ قال الشاعر:

بأيَّة حال حكّموا فيك فاشتطُّوا وما ذاكَ إلا حيثُ يَمَّمَكَ الوَخْطُ

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أي: حسبنا ﴿أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فلذلك صدقناهم في أن لله صاحبة وولدا، حتى سمعنا القرآن وتبينا به الحق.

وقرأ يعقوب والجحدري وابن أبي إسحاق « أنْ لَنْ تَقَوَّل »[٥]، وقيل: انقطع الإخبار عن الجن ها هنا فقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ﴾ فمن فتح وجعله من قول الجن ردها إلى قوله: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ [الجن: ١]، ومن كسر جعلها مبتدأ من قول الله تعالى، والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل إذا نزل بواد: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه؛ فيبيت في جواره حتى يصبح؛ قاله الحسن وابن زيد وغيرهما [٦]، قال مقاتل: كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم، وقال كردم بن أبي السائب: خرجت مع أبي إلى المدينة أول ما ذكر النبي ﷺ، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء الذئب فأخذ حملا من الغنم، فقال الراعي: يا عامر الوادي، أنا جارك، فنادى مناد لا نراه: يا سرحان أرسله، فأتى الحمل يشتد، وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [٧] أي: زاد الجن الإنس ﴿رَهَقًا﴾ أي: خطيئة وإثما؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، والرهق: الإثم في كلام العرب وغشيان المحارم؛ ورجلٌ رهق: إذا كان كذلك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧]، وقال الأعشى:

لا شَيءَ ينفعني مِن دونِ رؤيتِها هل يَشتفي وامِقٌ ما لم يُصِب رَهَقَا

يعني إثما، وأضيفت الزيادة إلى الجن إذ كانوا سببا لها، وقال مجاهد أيضا: ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي: إن الإنس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ، حتى قالت الجن: سدنا الإنس والجن، وقال قتادة أيضا وأبو العالية والربيع وابن زيد: ازداد الإنس بهذا فرقا وخوفا من الجن [٨]، وقال سعيد بن جبير: كفرا [٩]، ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك، وقيل: لا يطلق لفظ الرجال

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٨٨).

(٢) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٩/ ١١٣) في تفسيره.

(٣، ٤) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٨٨).

(٥) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٨٤).

(٦) هذه كلها مراسيل: رواها الطبري (٩/ ١١٤، ١١٥) بأسانيد صحاح مقطوعة.

(٧) ضعيف: الهيثمي (٧/ ١٢٩) في المجمع، وقال: « رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي وهو: ضعيف ».

(٨) صحاح إليهم: الطبري (٢٩/ ١١٥، ١١٦).

(٩) وهو قول مجاهد أيضًا، وانظر السابق.

على الجن؛ فالمعنى: وأنه كان رجال من الإنس يعوذون من شر الجن برجال من الإنس، وكان الرجل من الإنس يقول مثلا: أعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي، قال القشيري: وفي هذا تحكم إذ لا يبعد إطلاق لفظ الرجال على الجن.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ هذا من قول الله تعالى للإنس أي: وأن الجن ظنوا أن لن يبعث الله الخلق كما ظننتم. الكلبي: المعنى: ظنت الجن كما ظنت الإنس ألن يبعث الله رسولا إلى خلقه يقيم به الحجة عليهم (١)، وكل هذا توكيد للحجة على قريش؛ أي: إذا آمن هؤلاء الجن بمحمد، فأنتم أحق بذلك.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ هذا من قول الجن؛ أي: طلبنا خبرها كما جرت عادتنا ﴿فَوَجَدْنَاهَا﴾ قد ﴿مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ أي: حفظة، يعني الملائكة، والحرس: جمع حارس ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شهاب، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع، وقد مضى القول فيه في سورة «الحجر»(٢) «والصافات»(٣)، و« وجد » يجوز أن يقدر متعديا إلى مفعولين، فالأول الهاء والألف، و﴿مُلِئَتْ﴾ في موضع المفعول الثاني، ويجوز أن يتعدى إلى مفعول واحد ويكون ﴿مُلِئَتْ﴾ في موضع الحال على إضمار قد، و﴿حَرَسًا﴾ نصب على المفعول الثاني بـ ﴿مُلِئَتْ﴾، و﴿شَدِيدًا﴾ من نعت الحرس، أي: ملئت ملائكة شدادا، ووحد الشديد على لفظ الحرس؛ وهو كما يقال: السلف الصالح بمعنى الصالحين، وجمع السلف أسلاف وجمع الحرس أحراس؛ قال :

تجاوزتُ أحراساً وأهوالَ مَعْشَرٍ

ويجوز أن يكون ﴿حَرَسًا﴾ مصدرا على معنى حُرِستْ حراسة شديدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ ﴿مِنْهَا﴾ أي: من السماء، و﴿مَقَاعِدَ﴾: مواضع يقعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء؛ يعني أن مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء ،حتى يلقوها إلى الكهنة على ما تقدم بيانه، فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ يعني بالشهاب: الكوكب المحرق؛ وقد تقدم بيان ذلك، ويقال: لم يكن انقضاض الكواكب إلا بعد مبعث النبي ﷺ وهو آية من آياته، واختلف السلف: هل كانت الشياطين تقذف قبل المبعث، أو كان ذلك أمرا حدث لمبعث النبي ﷺ؟ فقال الكلبي وقال قوم: لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه خمسمائة عام، وإنما كان من أجل بعثة النبي ﷺ، فلما بعث

(١) صحيح إلى الكلبي : لكن الكلبي كذاب ،وانظر الطبري (٢٩/ ١١٦) في تفسيره.
(٢، ٣) انظر الآية (٨) من سورة « الحجر » ،والآية (١٠) من سورة « الصافات» .

محمد ﷺ منعوا من السموات كلها، وحرست بالملائكة والشهب [١].

قلت: ورواه عطية العوفي عن ابن عباس؛ ذكره البيهقي [٢]، وقال عبد الله بن عمر: لما كان اليوم الذي نبئ رسول الله ﷺ مُنعت الشياطين، ورموا بالشهب [٣]، وقال عبد الملك بن سابور: لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فلما بعث محمد ﷺ حرست السماء، ورميت الشياطين بالشهب، ومنعت من الدنو من السماء، وقال نافع بن جبير: كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى، فلما بعث رسول الله ﷺ رميت بالشهب [٤]، ونحوه عن أبي ابن كعب قال: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى نبئ رسول الله ﷺ فرمي بها [٥]، وقيل: كان ذلك قبل المبعث، وإنما زادت بمبعث رسول الله ﷺ إنذارا بحاله؛ وهو معنى قوله تعالى: ﴿مُلِئَتْ﴾ أي: زيد في حرسها؛ وقال أوس بن حجر وهو جاهلي:

فانقَضّ كالدُّرِّي يَتْبَعُه نَقْعٌ يثور تخَالُه طُنُبَا

وهذا قول الأكثرين، وقد أنكر الجاحظ هذا البيت، وقال: كل شعر روي فيه فهو مصنوع، وأن الرمي لم يكن قبل المبعث، والقول بالرمي أصح؛ لقوله تعالى: ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾. وهذا إخبار عن الجن، أنه زيد في حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم؛ ولما روي عن ابن عباس قال: بينما النبي ﷺ جالس في نفر من أصحابه إذ رمي بنجم؛ فقال: «ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية»؟ قالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم، فقال النبي ﷺ: «إنها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا سبحانه وتعالى إذا قضى أمرا في السماء، سبح حملة العرش، ثم سبح أهل كل سماء، حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبر أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، فتتخطف الجن، فيرمون فما جاؤوا به فهو حق، ولكنهم يزيدون فيه» [٦]، وهذا يدل على أن الرجم كان قبل المبعث، وروى الزهري نحوه عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب عن ابن عباس [٧]، وفي آخره قيل للزهري: أكان يرمى في الجاهلية؟ قال: نعم، قلت: أفرأيت قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ قال: غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي ﷺ [٨]، ونحوه قاله القتبي، قال ابن قتيبة: كان ولكن اشتدت الحراسة بعد المبعث؛ وكانوا من قبل يسترقون ويرمون في بعض الأحوال، فلما بعث محمد ﷺ منعت من ذلك أصلا، وقد تقدم بيان هذا في سورة «الصافات» عند قوله: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات]، قال الحافظ: فلو

---

(١) هذا مرسل من كلام الكلبي ولا يصح إذ هو متعلق بعالم الغيب .
(٢) ضعيف جدًا : طريق العوفيين مليء بالجهالة ، وانظر الدلائل (٢/ ٢٨٠) ، للبيهقي.
(٣) انظر : السابق .
(٤) مرسل : انظر : قبل السابق .
(٥) ضعيف جدًا : فيه الواقدي وهو متروك على علمه : انظر : السابق .
(٦) هذا من طريق العوفيين ، وانظر : التالي .
(٧) صحيح : مسلم (٢٢٢٩/ ١٢٤) في السلام .
(٨) انظر : السابق .

قال قائل: كيف تتعرض الجن لإحراق نفسها بسبب استماع خبر، بعد أن صار ذلك معلوما لهم؟ فالجواب: أن الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة، كما ينسي إبليس في كل وقت أنه لا يسلم، وأن الله تعالى قال له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥]، ولولا هذا لما تحقق التكليف، والرصد: قيل: من الملائكة؛ أي: ورصدا من الملائكة.

والرصد: الحافظ للشيء والجمع أرصاد، وفي غير هذا الموضع يجوز أن يكون جمعا كالحرس، والواحد: راصد، وقيل: الرصد هو الشهاب، أي: شهابا قد أرصد له، ليرجم به؛ فهو فعل بمعنى مفعول كالخبط والنفض.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بهذا الحرس الذي حرست بهم السماء، ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي: خيرا، قال ابن زيد: قال إبليس: لا ندري، هل أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الأرض عذابا أو يرسل إليهم رسولا [(١)]، وقيل: هو من قول الجن فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءة النبي ﷺ، أي: لا ندري أشر أريد بمن في الأرض بإرسال محمد إليهم، فإنهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الأمم، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا؛ فالشر والرشد على هذا الكفر والإيمان؛ وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي ﷺ، ولما سمعوا قراءته علموا أنهم منعوا من السماء حراسة للوحي، وقيل: لا؛ بل هذا قول قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين؛ أي: لما آمنوا أشفقوا ألا يؤمن كثير من أهل الأرض فقالوا: إنا لا ندري أيكفر أهل الأرض بما آمنا به أم يؤمنون؟

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ هذا من قول الجن، أي: قال بعضهم لبعض لما دعوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ وإنا كنا قبل استماع القرآن منا الصالحون ومنا الكافرون، وقيل: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ومن دون الصالحين في الصلاح، وهو أشبه من حمله على الإيمان والشرك، ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أي: فرقا شتى؛ قاله السدي [(٢)]. الضحاك: أديانا مختلفة [(٣)]. قتادة: أهواء متباينة[(٤)]؛ ومنه قول الشاعر:

القَابِضُ الباسِطُ الْهادِي بِطاعتِه ... في فِتْنَةِ الناسِ إِذْ أَهْوَاؤُهُمْ قِدَدُ

والمعنى: أي: لم يكن كل الجن كفارا بل كانوا مختلفين: منهم كفار، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء، وقال ابن المسيب: كانوا مسلمين ويهوداً ونصارى ومجوسًا، وقال السدي في قوله تعالى: ﴿ طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ قال: في الجن مثلكم قدرية، ومرجئة، وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسنية، وقال قوم: أي: وإنا بعد استماع القرآن مختلفون: منا المؤمنون ومنا الكافرون، أي: ومنا الصالحون ومنا مؤمنون لم يتناهوا في الصلاح، والأول أحسن؛ لأنه كان في الجن من آمن بموسى

(١) صحيح مقطوع: الطبري (٢٩/ ١١٧) في تفسيره.
(٢-٤) الطبري (٢٩/ ١١٨) في تفسيره بأسانيد صحاح إليهم، ولم أجد قول الضحاك ـ رحمه الله.

وعيسى، وقد أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠] ،وهذا يدل على إيمان قوم منهم بالتوراة، وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من دعوهم إلى الإيمان، وأيضا لا فائدة في قولهم: نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر، والطرائق: جمع الطريقة وهي مذهب الرجل، أي: كنا فرقا مختلفة، ويقال: القوم طرائق أي: على مذاهب شتى، والقدد: نحو من الطرائق ،وهو توكيد لها، واحدها: قدة ، يقال: لكل طريق قدة، وأصلها من قد السيور، وهو قطعها.

قال لبيد يرثي أخاه أربد:

وقال آخر: لم تَبْلُغِ العينُ كلَّ نَهْمَتِها ليلةَ تُمْسِي الجِيادُ كالقِدَدِ

ولَقَدْ قُلْتُ وزَيدٌ حاسِرٌ يومَ وَلَّتْ خيلُ عَمْرو قِدَدَا

والقد بالكسر: سير يُقد من جلد غير مدبوغ؛ ويقال: ما له قِدٌّ ولا قِحْف؛ فالقد: إناء من جلد، والقحف: من خشب.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ الظن هنا بمعنى العلم واليقين، وهو خلاف الظن في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ﴾ [الجن: ٥] ، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ [الجن: ٧] أي: علمنا بالاستدلال والتفكر في آيات الله، أنا في قبضته وسلطانه، لن نفوته بهرب ولا غيره ،و﴿هَرَبًا﴾ مصدر في موضع الحال أي: هاربين.

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ يعني: القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ﴾وبالله، وصدقنا محمداﷺ على رسالته، وكانﷺ مبعوثا إلى الإنس والجن، وقال الحسن: بعث الله محمداﷺ إلى الإنس والجن، ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من الجن، ولا من أهل البادية، ولا من النساء؛ وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾(١) [يوسف: ١٠٩] ،وقد تقدم هذا المعنى، وفي الصحيح: «وبعثت إلى الأحمر والأسود»(٢) أي: الإنس والجن.

قوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قال ابن عباس(٣) : لا يخاف أن ينقص من حسناته ،ولا أن يزاد في سيئاته؛ لأن البخس النقصان ، والرهق: العدوان وغشيان المحارم؛ قال الأعشى:

---

(١) كذا فى زاد المسير (٣/ ٤٧٨) ، والنكت والعيون (٤/ ٣٣٥) ،للماوردي والمحرر الوجيز (٤/ ٥١) لابن عطية .

(٢) متفق عليه : البخارى (٤٣٨) ، ومسلم (٥٢١/ ٣) عن جابر ـ رضي الله عنه ، في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة واللفظ لمسلم.

(٣) منقطع : بين على بن أبي طلحة ، وابن عباس ، وروى أيضًا من طريق العوفيين وهو طريق ضعيف . انظر: الطبري (٢٩/ ١١٩) في تفسيره .

لا شَيْءَ يَنْفَعُني من دُونِ رُؤْيَتِها ... هل يَشْتَفِي وَامِقٌ مَا لَمْ يُصِبْ رَهَقاً

الوامق: المحب؛ وقد وَمِقَه يمقه بالكسر أي: أحببه، فهو وامق، وهذا قول حكاه الله تعالى عن الجن؛ لقوة إيمانهم وصحة إسلامهم، وقراءة العامة: ﴿فَلا يَخَافُ﴾ رفعا ،على تقدير: فإنه لا يخاف، وقرأ الأعمش ويحيى وإبراهيم: «فلا يَخَفْ» جزما على جواب الشرط وإلغاء الفاء.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي: وأنا بعد استماع القرآن مختلفون، فمنا من أسلم ومنا من كفر، والقاسط: الجائر، لأنه عادل عن الحق، والمقسط: العادل؛ لأنه عادل إلى الحق؛ يقال: قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل؛ قال الشاعر:

قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هند عَنْوَةً ... عَمْراً وهم قَسَطُوا على النُّعْمَان

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي: قصدوا طريق الحق وتوخوه ،ومنه تحرى القبلة، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي: الجائرون عن طريق الحق والإيمان ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾

أي: وقودا، وقوله: ﴿فَكَانُوا﴾ أي: في علم الله تعالى.

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ هذا من قول الله تعالى، أي: لو آمن هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق، وهذا محمول على الوحي؛ أي: أوحى إلي: أن لو استقاموا، ذكر ابن بحر: كل ما في هذه السورة من «إنَّ» المكسورة المثقلة فهي حكاية لقول الجن الذين استمعوا القرآن، فرجعوا إلى قومهم منذرين، وكل ما فيها من «أنْ» المفتوحة المخففة فهي وحي إلى رسول الله ﷺ ،وقال ابن الأنباري: ومن كسر الحروف وفتح ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾ أضمر يمينا تاما، تأويلها: والله أن لو استقاموا على الطريقة ؛ كما يقال في الكلام: والله أن لو قمت لقمت، ووالله لو قمت قمت؛ قال الشاعر:

أما واللَّه أن لو كُنتَ حرًّا ... وما بالحُرِّ أنتَ ولا العتيقِ(١)

ومن فتح ما قبل المخففة نسقها - أعني الخفيفة - على: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾، ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾ أو على: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ وبأن لو استقاموا، ويجوز لمن كسر الحروف كلها إلى «أن» المخففة، أن يعطف المخففة على: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أو على: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾، ويستغني عن إضمار اليمين، وقراءة العامة بكسر الواو من «لو» لالتقاء الساكنين، وقرأ ابن وثاب والأعمش بضم الواو، و﴿مَّاءً غَدَقًا﴾ أي: واسعا كثيرا، وكانوا قد حبس عنهم المطر سبع سنين؛ يقال: غَدِقَت العينُ تَغْدَق، فهي غَدِقَةٌ إذا كثر ماؤها، وقيل: المراد الخلق كلهم أي: ﴿لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ أي: كثيرا ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنختبرهم كيف شكرهم فيه على تلك النعم، وقال عمر في هذه الآية: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة، فمعنى: ﴿لأَسْقَيْنَاهُم﴾: لوسعنا عليهم في الدنيا؛ وضرب الماء الغدق الكثير لذلك مثلا؛ لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون،

(١) البيت ذكره الطبرى عن ابن زيد (٢٩/ ١٢٠) في تفسيره .

فأقيم مقامه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦] أي: بالمطر، والله أعلم، وقال سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقتادة ومقاتل وعطية وعبيد بن عمير والحسن: كان والله أصحاب النبي ﷺ سامعين مطيعين، ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي، ففتنوا بها، فوثبوا على إمامهم فقتلوه، يعني عثمان ابن عفان.

وقال الكلبي وغيره: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ التي هم عليها من الكفر، فكانوا كلهم كفارا، لوسعنا أرزاقهم مكراً بهم واستدراجاً لهم، حتى يفتتنوا بها، فنعذبهم بها في الدنيا والآخرة، وهذا قول قاله الربيع بن أنس وزيد بن أسلم وابنه والكلبي والشمالي ويمان بن رئاب وابن كيسان وأبو مجلز[١]؛ واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣] الآية؛ والأول أشبه؛ لأن الطريقة معرفة بالألف واللام، فالأوجب أن تكون طريقته طريقة الهدى؛ ولأن الاستقامة لا تكون إلا مع الهدى.

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا» قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: «بركات الأرض» وذكر الحديث[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ يعني القرآن؛ قاله ابن زيد، وفي إعراضه عنه وجهان: أحدهما عن القبول، إن قيل: إنها في أهل الكفر، الثاني عن العمل، إن قيل: إنها في المؤمنين، وقيل: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ أي: لم يشكر نعمه، ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ قرأ الكوفيون وعباس عن أبي عمرو: ﴿يَسْلُكْهُ﴾ بالياء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لذكر اسم الله أولا، فقال: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾، الباقون «نسلكه» بالنون[٤]، وروي عن مسلم بن جُندب ضم النون وكسر اللام، وكذلك قرأ طلحة والأعرج وهما لغتان، سلكه وأسلكه بمعنى؛ أي: ندخله، ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: شاقا شديدا، قال ابن عباس: هو جبل في جهنم[٥]. أبو سعيد الخدري: كلما جعلوا أيديهم عليه ذابت[٦]، وعن

---

(١) انظر: الطبري (٢٩/ ١٢٠، ١٢١) في تفسيره.

(٢) صحيح: البخارى (٦٤٢٧) في الرقاق، ومسلم (٥٢/ ١٠٥/ ١٢٢) في الزكاة، واللفظ له.

(٣) متفق عليه: البخارى (٦٤٢٥) في الرقاق، ومسلم (٢٩٦١) في الزهد والرقائق، كلاهما عن عمرو بن عوف ـ رضي الله عنهما.

(٤) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٨٤).

(٥) فى إسناده نظر: ففي رواية سماك عن عكرمة اضطراب. انظر: الطبري (٢٩/ ١٢٢) في تفسيره.

(٦) سبق تضعيفه.

ابن عباس: أن المعنى مشقة من العذاب [١]، وذلك معلوم في اللغة أن الصعد: المشقة، تقول: تصعدني الأمر: إذا شق عليك؛ ومنه قول عمر: ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح، أي: ما شق علي، وعذاب صعد أي: شديد.

والصعد: مصدر صَعِدَ؛ يقال: صَعِدَ صَعَدًا وصُعودا، فوصف به العذاب؛ لأنه يتصعد المعذب أي: يعلوه ويغلبه فلا يطيقه، وقال أبو عبيدة: الصعد مصدر؛ أي: عذابا ذا صعد، والمشي في الصعود يشق، والصعود: العقبة الكؤود، وقال عكرمة: هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها؛ فإذا انتهى إلى أعلاها حدر إلى جهنم [٢]،وقال الكلبي: يكلف الوليد بن المغيرة أن يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء، يجذب من أمامه بسلاسل، ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها،ولا يبلغ إلا في أربعين سنة، فإذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها، ثم يكلف أيضا صعودها، فذلك دأبه أبدا [٣]،وهو قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ ﴿أَنَّ﴾ بالفتح، قيل: هو مردود إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن: ١] أي: قل أوحي إلي أن المساجد لله، وقال الخليل: أي: ولأن المساجد لله، والمراد البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة، وقال سعيد بن جبير: قالت الجن: كيف لنا أن نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أي: بنيت لذكر الله وطاعته، وقال الحسن: أراد بها كل البقاع؛ لأن الأرض كلها مسجد للنبي ﷺ، يقول: «أينما كنتم فصلوا فأينما صليتم فهو مسجد» [٤].

وفي الصحيح: «وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا» [٥].

وقال سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب: أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد، وهي القدمان والركبتان ،واليدان ،والوجه؛ يقول: هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك، فلا تسجد لغيره بها، فتجحد نعمة الله.

قال عطاء: مساجدك: أعضاؤك التي أمرت أن تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها ، وفي الصحيح عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: الجبهة - وأشار بيده إلى أنفه -واليدين والركبتين وأطراف القدمين» [٦]،وقال العباس: قال النبي ﷺ: «إذا سجد العبد

---

(١) ضعيف جدًا: ذكره الطبري (٢٩/ ١٢٢) في تفسيره من طريق العوفيين الملىء بالضعف والجهالة.

(٢، ٣) انظر تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٠).

(٤) صحيح: البخاري (٣٣٦٦) في أحاديث الأنبياء، ومسلم (٥٢٠/ ١) في المساجد، عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه ولفظه: «أينما أدركتك الصلاة فصل».

(٥) صحيح: وسبق تخريجه.

(٦) متفق عليه: البخارى (٨١٢) في الأذان، ومسلم (٤٩٠) في الصلاة.

سجـد معه سبـعة آراب» [١]، وقيل: المسـاجد: هي الصلوات؛ أي: لأن السجود لله، قـاله الحسن أيضا، فإن جعلت المساجد المواضع، فواحدها مـسجد بكسر الجيم، ويقال بالفتح؛ حكاه الفراء، وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم، وقيل: هو جمع مسجد، وهو السجود، يقال: سجدت سجودًا ومسجدًا، كما تقول: ضـربت في الأرض ضربا ومضربا بالفتح: إذا سرت في ابتغاء الرزق، وقال ابن عـباس: المساجـد هنا مكة التي هي القبلة ،وسـميت مكة المسـاجد؛ لأن كل أحد يسـجد إليها [٢]، والقول الأول أظهر هذه الأقوال إن شاء الله، وهو مروى عن ابن عباس رحمه الله.

الثانية : قوله تـعالى: ﴿لِلَّهِ﴾ إضـافة تشـريف وتكريم، ثم خص بالذكـر منها البـيت العتـيق فقال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج: ٢٦]، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تعـمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد» لحديث خرجه الأئمة، وقد مضى الكلام فيها [٣] ، وقال عليه الصلاة والسلام: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» [٤]، قال ابن العربي [٥]: وقد روى من طريق لا بأس بها أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مـسجدي هذا خير مـن ألف صلاة فيما سـواه إلا المسجد الحرام، فإن صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي هذا» [٦] ولو صح هذا لكان نصا.

قلت : هو صحيح بنقل العدل عن العدل حسب ما بيناه في سورة «إبراهيم» [٧] .

الثالثة : المساجد وإن كانت لـله ملكًا وتشريفًا فإنها قد تنسب إلى غـيره تعريفًا؛ فيقـال: مسجد فلان، وفي صحـيح الحديث أن النبي ﷺ سابق بين الخـيل التي أضمـرت من الحفـياء وأمدهـا ثنية الوداع، وسابق بين الخيل الـتي لم تُضَمَّر من الثنية إلى مـسجد بني زريق [٨]، وتكون هذه الإضافة بحكم المحلية كـأنها في قبـلتهم، وقد تكون بتـحبيـسهم، ولا خلاف بين الأمـة في تحبيس المسـاجد والقناطر والمقابر وإن اختلفوا في تحبيس غير ذلك،

الرابعة : مع أن المساجد لله لا يذكر فيها إلا الله ،فإنه تجوز القسمة فيها للأموال، ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك بين المسـاكين وكل من جاء أكل، ويجوز حبس الغريم فيها، وربط الأسير ،والنوم فيها، وسكنى المريض فيها، وفتح البـاب للجار إليها، وإنشاد الشعر فيها إذا عري عن

---

(١) صحيح : مسلم (٤٩١) في الصلاة ، والترمذي، وأبو داود (٨٩٠) (٢٧٢) كلهم من طريق المصنف .
وقال ابن حجر رحمه الله : الآراب : جمع أرب بكسر أوله ، وإسكان ثانيه وهو العضو. الفتح (٢/ ٢٩٦) .
(٢) فيه رجل مجهول : ذكره ابن كثير (٨/ ١٩٢) في تفسيره من طريق ابن أبي حاتم .
(٣) صحيح : النسائي (٣/ ١١٤) في سننه ، وأحمد (٦/ ٧) ، عن أبي بصرة الغفاري ـ وقد سبق .
(٤) متفق عليـه: البخاري (١١٩٠) في فضل الصلاة فى مسـجد مكة والمدينة ، ومسلم (١٣٩٤/ ٥٠٥ ـ ٥٠٨) في الحج، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه .
(٥)أحكام القرآن (٤/ ١٨٦٩) للقاضي ابن العربي المالكي .
(٦)سبق نحوه في الصحيحين قريبا
(٧)عند الآية رقم (٣٧)
(٨) متـفق عليه : البـخارى (٤٢٠) في الصـلاة ، ومسلم (١٨٧٠/ ٩٥) في الإمـارة ، عن ابن عمـر ـ رضي الله عنهما.

الباطل، وقد مضى هذا كله مبينا في سورة « التوبة » (١)، و « النور» (٢)وغيرهما.

الخامسة : قوله تعالى: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام، وقال مجاهد: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها، يقول: فلا تشركوا فيها صنما وغيره مما يعبد (٣)،وقيل: المعنى: أفردوا المساجد لذكر الله،ولا تتخذوها هزوا ومتجرا ومجلسا،ولا طرقا، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا،وفي الصحيح: «من نشد ضالة في المسجد فقولوا : لا ردها الله عليك،فإن المساجد لم تبن لهذا» (٤) وقد مضى في سورة « النور» ما فيه كفاية من أحكام المساجد، والحمد لله.

السادسة : روى الضحاك عن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى، وقال: «﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ اللهم أنا عبدك وزائرك، وعلى كل مزور حق، وأنت خير مزور ،فأسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار» ،فإذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى؛ وقال: «اللهم صب علي الخير صبا ،ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني أبدا ،ولا تجعل معيشتي كدا، واجعل لي في الأرض جدا» (٥) أي: غنى.

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ يجوز الفتح؛ أي: أوحى الله إليه أنه، ويجوز الكسر على الاستئناف(٦)، و﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾ هنا محمد ﷺ حين كان يصلي ببطن نخلة ،ويقرأ القرآن، حسب ما تقدم أول السورة، ﴿ يَدْعُوهُ﴾ أي: يعبده،وقال ابن جريج: ﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: قام إليهم داعيا إلى الله تعالى: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال الزبير بن العوام: هم الجن حين استمعوا القرآن من النبي ﷺ ، أي: كاد يركب بعضهم بعضا ازدحاما ويسقطون، حرصا على سماع القرآن (٧).

وقيل: كادوا يركبونه حرصا؛ قاله الضحاك . ابن عباس: رغبة في سماع الذكر (٨)، وروى بُرْدٌ عن مكحول: أن الجن بايعوا رسول الله ﷺ في هذه الليلة وكانوا سبعين ألفا، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر.

(١ ، ٢) سورة « براءة »الآية (٢٨) ، وسورة النور الآية (٣٦) .

(٣) صحيح إلى مجاهد: وقد روى أيضًا من طريق قتادة وغيره . الطبري (٢٩/ ١٢٣) في تفسيره.

(٤) صحيح : مسلم (٥٦٨/ ٧٩، ٧٩ مكرر) في المساجد ومواضع الصلاة ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه .

(٥) منقطع بين الضحاك وابن عباس ـ رضي الله عنهما : وانظر: تفسير الماوردي (٦/ ١٢٠) .

(٦) هى قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٨٤) .

(٧) أشار إليه ابن كثير (٨/ ١٩٢، ١٩٣) في تفسيره ،وسكت عنه مما يشعر بتضعيفه لا بصحته لقوله: « وهو مروي عن الزبير» .

(٨) منقطع: بين الضحاك وابن عباس ـ رضي الله عنهما: انظر: تفسير الماوردي(٦/ ١٢٠).

وعن ابن عباس أيضـا: إن هذا من قول الجن لما رجعوا إلى قومهم أخـبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ وائتمـامهم به في الركوع والسـجود (١)، وقيل: المعنى كـاد المشركون يركـبون بعضهم بعضا، حردا على النبي ﷺ، وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمد بالدعوة تـلبدت الإنس والجن على هذا الأمـر ليطفئوه، وأبـى الله إلا أن ينصره ويتم نوره، واخـتار الطبري (٢) أن يكون المعنى: كادت العـرب يجتمـعون على النبي ﷺ، ويتظاهرون على إطفاء النور الذي جاء به، وقـال مجاهد (٣): قوله: ﴿لِبَدًا﴾ جمـاعات وهو من تلبـد الشيء على الشيء، أي: تجمع؛ ومنه اللبـد الذي يفرش لتراكم صوفـه، وكل شيء ألصقته إلصـاقا شديدا فقد لـبدته، وجمع اللِّبدة لِبدٌ مثل قِربة وقِربُ، ويقال للشَّعر الذي على ظهر الأسد لبدة وجمعها لبدٌ؛ قال زهير:

لَدى أسَدٍ شاكِي السِّلاحِ مُقَذّفٍ   له لِبَدٌ أظْفَارُهُ لم تقَلَّمِ

ويقال للجراد الكثير: لبدَ ،وفيه أربع لغات وقراءات: فتح الباء وكسر اللام، وهي قراءة العامة، وضم اللام وفتح الباء (٤)، وهي قراءة مجاهد وابن محيـصن وهشام عن أهل الشام، واحدتها لُبْدة، وبضم اللام والباء، وهي قـراءة أبي حيوة ومـحمد بن السـميقع وأبي الأشـهب العقيلي والجـحدري واحدها لَبْد مثل: سَـقْف وسُقُف، ورَهْن ورُهُن، وبضم اللام وشد الباء وفتحـها، وهي قراءة الحسن وأبي العالية والأعرج والجـحدري أيضا واحدها لابد؛ مثل: راكع وركع، وساجـد، وسجد، وقيل: اللبد بضم اللام وفتح الباء: الشيء الدائم؛ ومنه قيل لنسر لقمان: لُبدَ لدوامه وبقائه؛ قال النابغة:

أَخْنَى عليها الّذي أَخْنَى على لُبَد

القشـيري: وقرئ :« لُبـداً » بضم اللام والباء، وهو جـمع لبيد، وهو الجـولق الصغـير، وفي الصحاح: وقوله تعالى: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ أي: جما. ويقال أيضا: الناس لُبد أي: مجتمعون، واللُّبد أيضا: الذي لا يسافر ولا يبرح منزله، قال الشاعر:

مِن امرىءٍ ذِي سَماحٍ لا تَزالُ لَهُ   بَزْلاءُ يَعْيَا بها الجَثَّامَة اللبَدُ

ويروى: اللبد، قال أبو عبيد: وهو أشبه.

والبزلاء: الرأي الجيد، وفلان نهاض ببزلاء: إذا كان ممن يقوم بالأمور العظام؛ قال الشاعر:

إنِّي إذا شَغَلَتْ قوماً فُرُوجهُمُ   رَحْبُ المَسالِكِ نَهَّاضٌ ببَزْلاءِ

ولُبد: آخر نسـور لقمان، وهو ينصرف؛ لأنه ليس بمعدول، وتزعم العـرب أن لقمان هو الذي بعثه عاد في وفدها إلى الحـرم يستسقي لها، فلما أهلكوا خير لقمان بـين بقاء سبع بعرات سمر، من أظْبِ عُفْر، في جبل وعـر، لا يمسها القطر؛ أو بقاء سبعة أنسر، كلمـا هلك نسر، خلف بعده نسر، فاختار النسور، وكان آخر نسوره يسمى لُبَدًا .

وقد ذكرته الشعراء؛ قال النابغة:

(١) حسن : الطبري (٢٩/ ١٢٤) في تفسيره .

(٢) الطبرى (٢٩/ ١٢٤ ـ ١٢٦) في تفسيره ، واختاره ابن كثير (٨/ ١٩٣) في تفسيره.

(٣) صحيح إلى مجاهد : كما في تفسير الطبرى (٢٩/ ١٢٦) .

(٤) قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٨٤) .

أضْحَت خَلاءً وأَمْسَى أَهْلُها احتَمَلوا   أَخنَى عليها الّذي أَخنَى على لُبَدِ

واللبيد: الجولق الصغير؛ يقال: ألبدت القربة، جعلتها في لبيد، ولبيد: اسم شاعر من بني عامر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ أي: قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ وكذا قرأ أكثر القراء «قال» على الخبر، وقرأ حمزة وعاصم: ﴿قُلْ﴾ [١] على الأمر، سبب نزولها: أن كفار قريش قالوا له: إنك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك؛ فنزلت [٢].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق لكم خيرا، وقيل: ﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ أي: كفرا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ أي: هدى؛ أي: إنما عليَّ التبليغ، وقيل: الضر: العذاب، والرشد: النعيم، وهو الأول بعينه، وقيل: الضر الموت، والرشد الحياة.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝٢٣ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝٢٤ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ۝٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لا يدفع عذابه عني أحد إن استحققته؛ وهذا لأنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك، وروى أبو الجوزاء عن ابن مسعود، قال: انطلقت مع النبي ﷺ ليلة الجن حتى أتى الحجون، فخط علي خطا، ثم تقدم إليهم، فازدحموا عليه، فقال سيد لهم يقال له: وردان: أنا أزجلهم عنك [٣]، فقال: «إني لن يجيرني من الله أحد» ذكره الماوردي، قال: ويحتمل معنيين: أحدهما: لن يجيرني مع إجارة الله لي أحد. الثاني: لن يجيرني مما قدره الله تعالى علي أحد، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملتجأ ألجأ إليه؛ قاله قتادة [٤]، وعنه: نصيرا ومولى [٥]، السدي: حرزا [٦]، الكلبي: مدخلا في الأرض مثل السرب [٧]، وقيل: وليا ولا مولى، وقيل: مذهبا ولا مسلكا، حكاه ابن شجرة، والمعنى واحد.

ومنه قول الشاعر:

يا لَهْفَ نفسي ولَهْفِي غيرُ مجدية   عنّي وما مِن قَضاء اللَّه مُلْتَحَدُ

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ فإن فيه الأمان والنجاة؛ قاله الحسن [٨].

وقال قتادة: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ﴾ فذلك الذي أملكه بتوفيق الله، فأما الكفر والإيمان، فلا أملكهما [٩]، فعلى هذا يكون مردودا إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لا

(١) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٨٤).

(٢) ذكره السيوطي بنحوه (ص٤٣٥) في أسباب النزول ولكن على أنه من قول الجن لا من قول البشر.

(٣) منقطع: وانظر: دلائل النبوة (٢/ ٢٩١، ٢٩٢) للبيهقي ـ رحمه الله.
وأزجلهم: أدفعهم ـ كما في اللسان.

(٤، ٥) صحيح إلى قتادة: كما في الطبري (٢٩/ ١٢٦).

(٦، ٧) انظر: الماوردي (٦/ ١٢١) في تفسيره.

(٨، ٩) صحيحان: انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ١٢٧).

أملك لكم إلا أن أبلغكم، وقيل: هو استثناء منقطع من قوله: ﴿لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ أي: إلا أن أبلغكم أي: لكن أبلغكم ما أرسلت به؛ قاله الفراء، وقال الزجاج: هو منصوب على البدل من قوله: ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ إلا أن أبلغ ما يأتيني من الله ورسالاته؛ أي: ومن رسالاته التي أمرني بتبليغها، أو إلا أن أبلغ عن الله وأعمل برسالته، فآخذ نفسي بما أمر به غيري.

وقيل: هو مصدر، و﴿لا﴾ بمعنى لم، و﴿إِنْ﴾ للشرط، والمعنى لن أجد من دونه ملتحدا ،أي: إن لم أبلغ رسالات ربي بلاغا.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في التوحيد والعبادة، ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ كسرت « إن »؛ لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء وقد تقدم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ نصب على الحال، وجمع ﴿خَالِدِينَ﴾ لأن المعنى لكل من فعل ذلك، فوحد أولا للفظ ﴿مَن﴾ ثم جمع للمعنى، وقوله: ﴿أَبَدًا﴾ دليل على أن العصيان هنا هو الشرك، وقيل: هو المعاصي غير الشرك، ويكون معنى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ إلا أن أعفو أو تلحقهم شفاعة، ولا محالة إذا خرجوا من الدنيا على الإيمان يلحقهم العفو، وقد مضى هذا المعنى مبينا في سورة «النساء »[1] وغيرها.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا مبتدأ، أي: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ من عذاب الآخرة، أو ما يوعدون من عذاب الدنيا، وهو القتل ببدر ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا﴾ أهم أم المؤمنون، ﴿وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ معطوف: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ يعني قيام الساعة، وقيل: عذاب الدنيا؛ أي: لا أدري ﴿فَإِنَّ﴾ بمعنى﴿مَا﴾ أو ﴿لاَ﴾؛ أي: لا يعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام الساعة إلا الله؛ فهو غيب لا أعلم منه إلا ما يعرفنيه الله،و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾: يجوز « أن يكون مع الفعل مصدرا، ويجوز» أن تكون بمعنى الذي ويقدر حرف العائد، ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ أي: غاية وأجلا، وقرأ العامة بإسكان الياء من ﴿ رَبِّي ﴾، وقرأ الحرميان وأبو عمرو بالفتح[2].

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾

فيه مسألتان :

الأولى : قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ ﴿عَالِمُ﴾ رفعا نعتا لقوله: ﴿ رَبِّي ﴾، وقيل: أي: هو﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ والغيب: ما غاب عن العباد، وقد تقدم بيانه، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه؛ لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات؛ وفي التنزيل: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[آل عمران: ٤٩] ، وقال ابن جبير: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ هو جبريل عليه السلام[3] ، وفيه بعد، والأولى أن يكون المعنى: أي:

---

(١) عند الآية (٩٣) .

(٢) قراءة سبعية متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٨٤) .

(٣) ضعيف : وفيه يعقوب القمى ، وهو أبو الحسن يعقوب بن عبد الله بن سعد الأشعري صدوق يهم رواه الطبري (٢٩ / ١٢٣) في تفسيره.

لا يظهر على غيبه إلا من ارتضى أي: اصطفى للنبوة، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه، ليكون ذلك دالا على نبوته.

الثانية: قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ،ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه، قال بعض العلماء: وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملك والسوقة، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعهم، وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم؛ فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة؟ فإن قال المنجم قبحه الله: إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوص به، فلا فائدة إذًا في عمل المواليد، ولا دلالة فيها على شقي ولا سعيد، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم، وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم، ولقد أحسن الشاعر حيث قال:

حكم المنجِّمُ أن طالعَ مولدي … يقضي عليّ بميتة الغرق
قُلْ لِلْمُنَجِّمِ صَبْحَةَ الطُّوفَانِ هَلْ … وُلِدَ الْجَمِيعُ بِكَوْكَبِ الْغَرَقَ

وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد لقاء الخوارج: أتلقاهم والقمر في العقرب؟ فقال رضي الله عنه: فأين قمرهم (١)؟ وكان ذلك في آخر الشهر، فانظر إلى هذه الكلمة التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم، والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم، وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين، لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار، فقال له علي رضي الله عنه: ولم؟ قال: إنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت، فقال علي رضي الله عنه: ما كان لمحمد ﷺ منجم، ولا لنا من بعده - في كلام طويل يحتج فيه بآيات من التنزيل - فمن صدقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ندا أو ضدا، اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك،ولا إله غيرك، ثم قال للمتكلم: نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها، ثم أقبل على الناس ،فقال: يا أيها الناس، إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر؛ وإنما المنجم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيتَ، ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان، ثم سار في الساعة التي نهاه عنها، فلقي القوم

---

(١) انظر : كشف الخفا (٢/ ٤٧٢) للعجلوني ـ رحمه الله ،وذكره الآلوسي في تفسيره (١٧/ ٧٠) في تفسيره.

فقتلهم، وهي وقعة النهروان الثابتة في الصحيح لمسلم[١]، ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل :سار في الساعة التي أمر بها المنجم، ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان. ثم قال: يا أيها الناس، توكلوا على الله وثقوا به؛ فإنه يكفي ممن سواه .

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ يعني: ملائكة يحفظونه أن يقرب منه شيطان؛ فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والإلقاء إلى الكهنة، قال الضحاك: ما بعث الله نبيا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين عن أن يتشبهوا بصورة الملك، فإذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا: هذا شيطان فاحذره، وإن جاءه الملك قالوا: هذا رسول ربك [٢]، وقال ابن عباس وابن زيد ﴿رَصَدًا﴾ أي: حفظة يحفظون النبي ﷺ من أمامه وورائه من الجن والشياطين [٣]، قال قتادة وسعيد ابن المسيب: هم أربعة من الملائكة حفظة [٤].

وقال الفراء [٥]: المراد جبريل؛ كان إذا نزل بالرسالة نزلت معه ملائكة يحفظونه من أن تستمع الجن الوحي، فيلقوه إلى كهنتهم، فيسبقوا به الرسول، وقال ألسدي ﴿رَصَدًا﴾ أي: حفظة يحفظون الوحي، فما جاء من عند الله قالوا: إنه من عند الله، وما ألقاه الشيطان قالوا: إنه من الشيطان [٦]، و﴿رَصَدًا﴾ نصب على المفعول، وفي الصحاح: والرصد القوم يرصدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وربما قالوا: أرصادا، والراصد للشيء: الراقب له؛ يقال: رصده يرصده رَصْدًا ورَصَدا، والتَّرصُّدُ: الترقب ،والمرصد: موضع الرصد.

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ قال قتادة ومقاتل: أي: ليعلم محمد أن الرسل قبله قد بلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة [٧]، وفيه حذف يتعلق به اللام؛ أي: أخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق، وقيل: ليعلم محمد أن قد أبلغ جبريل ومن معه إليه رسالة ربه؛ قاله ابن جبير [٨]، قال: ولم ينزل الوحي إلا ومعه أربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام، وقيل: ليعلم الرسل أن الملائكة بلغوا رسالات ربهم، وقيل: ليعلم الرسول، أيُّ: رسول كان

---

(١) صحيح : مسلم (١٠٦٦/ ١٥٦، ١٥٧) في الزكاة .

(٢) كلام غير معقول ولا يصح أبدًا ،وحسبنا أنه مقطوع على الضحاك ـ رحمه الله.

(٣) ضعيف جدًا إلى ابن عباس : كذا رواه الطبري (٢٩/ ١٢٩) فى تفسيره من طريق العوفيين وهى طريق مليئة بالجهالة.

(٤) انظر : تفسير الطبري (٢٩/ ١٣٠) نقلاً عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما بسند ضعيف ، وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٥) .

(٥) معانى القرآن (٣/ ١٩٦) . .

(٦) تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٥) .

(٧) صحيح إلى قتادة : الطبري (٢٩/ ١٢٩) .

(٨) حسن إليه : الطبري (٢٩/ ١٣٠) في تفسيره .

أن الرسل سواه بلغوا، وقيل: أي: ليعلم إبليس أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واستراق أصحابه، وقال ابن قتيبة: أي: ليعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما نزل عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم، وقال مجاهد: ليعلم من كذب الرسل أن المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم [١]، وقراءة الجماعة: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ بفتح الياء وتأويله ما ذكرناه، وقرأ ابن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب بضم الياء [٢] أي: ليُعلم الناس أن الرسل قد أبلغوا، وقال الزجاج: أي: ليعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته بفتح الياء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] المعنى ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيبا، ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط علمه بما عندهم، أي: بما عند الرسل وما عند الملائكة، وقال ابن جبير: المعنى: ليعلم الرسل أن ربهم قد أحاط علمه بما لديهم، فيبلغوا رسالاته [٣]، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أي: أحاط بعدد كل شيء وعرفه وعلمه فلم يخف عليه منه شيء، و﴿عَدَدًا﴾ نصب على الحال، أي: أحصى كل شيء في حال العدد، وإن شئت على المصدر، أي: أحصى وعد كل شيء عددا، فيكون مصدر الفعل المحذوف، فهو سبحانه المحصي المحيط العالم الحافظ لكل شيء، وقد بينا جميعه في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، والحمد لله وحده.

---

(١) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٢٩/ ١٣٠) في تفسيره.

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٨٤).

(٣) صحيح: وقد سبق